العبودية في الإسلام 22

سردار أحمد
الحوار المتمدن - العدد: 3205 - 2010 / 12 / 4
المحور: العلمانية , الدين , الاسلام السياسي
راسلوا الكاتب-ة مباشرة حول الموضوع

العبودية في الإسلام
الحلقة الثانية والعشرون
كذبة التدرج في تحريم العبودية ج1:
إن حجة التدرج في تحريم العبودية، والادعاء بأن الإسلام قام بتحريم الرق على مراحل، التي يتحدث عنها المسلمون في كثير من المناسبات ما هي إلا كذبة، ولا نجد لها أي مسند شرعي، ولا يوجد أي دليل على ذلك التدرج في الشريعة الإسلامية، لكن يوجد ما هو عكس ذلك التدرج، أو بمعنى آخر تدرج نحو ترسيخ العبودية وزيادة التأكيد عليها في آيات القرآن، ويتوضح ذلك خلال المقارنة ما بين الآيات المكية والمدنية، والناسخ والمنسوخ، حيث نُسِخَت آيات الرحمة وقبول الآخر بالآيات المدنية التي تأمر بالقتل والقتال وتتحدث عن الجهاد والغنائم ومضاجعة السبايا.
قالوا "كان نزول القرآن مدرجا وتفريقه منجما مما أجمعت عليه الأمة وصحت به الآثار الاستقرائية استجابة للضرورة الملحة واقتضاء للحكمة الفذة في تعاقب التعليمات الإلهية يسرا ومرونة واستيعابا". بالواقع هكذا أقوال ما هي إلا ترهات وأوهام، والتدرج الموجود في القرآن ليس له علاقة لا بحكمةٍ ولا بإلهٍ ولا بمنطقٍ ولا بعدالةٍ، وإنما له علاقة بالقوة والسلطة، والقمع الممارس على الآخرين تناسب طرداً مع حجم قوة محمد ومدى قدرته على القيام بذلك، والتغيير (التدرج) السيء الواضح حسب الآيات التي ستمر معنا كان من أهم أسبابه تحرر محمد من خديجة الزوجة القوية صاحبة السلطة والمال، وذلك بعد أن ماتت (قبل الهجرة بثلاث سنوات)، حيث (نزلت) بعد وفاتها آيات التوسع في النكاح والحرية فيه، وتم التركيز على ملكات اليمين والسبايا، وكذا كان ذلك التغيير لأسباب سلطوية، وكان الانعكاس لانتصارات محمد في غزواته وزيادة قوته، وربما لأجل ذلك قالو: "كان نتيجة هذا التدرج في النزول أن استوعَبَ نزول القرآن الكريم حياة النبي (ص) في الرسالة"، نعم استوعب القرآن حياة النبي الشخصية، حيث أن القرآن جزآن، حدهما الفاصل موت خديجة وانتصاراته العسكرية، وفي الجزء الثاني باشر نبي المسلمين النكاح والمضاجعة والسبي والاسترقاق بلا حدود.

فرض الجهاد أو فرض النهب والسبي والاسترقاق:
في بداية الإسلام لم يكن أهل الكتاب من الكفار، أي أن غزوهم لم يكن مشروعاً، وبالتالي لم يكن مسموحًا أن يصبح المسيحي ولا حتى اليهودي عبدا نتيجة الغزو، والغزو كان العامل والرافد الرئيسي للسلب والنهب والسبي والاسترقاق، لكن وبالتدرج نُسِخت الآيات التي ربما كانت الحافز في

إمكانية التعايش السلمي بالآيات التي كفرت الجميع وأمرت بقتالهم وبالتالي استِعبادهم.
ورد في تفسير ابن ابي حاتم ج11 ص448: (عن قتادة، قوله:" "ولا تجادلوا أهل الكتاب" نسختها "اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم" ولا مجادلة أشد من السيف".)
وورد في تفسير الطبري ج5 ص410: (نسخ: "لا إكراه في الدين" فأمر بقتال أهل الكتاب في "سورة براءة") وسورة البراءة هي سورة التوبة وترتيب نزولها (113) أي هي السورة قبل الأخيرة في القرآن.
تقول سورة التوبة: {قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} [التوبة:29]، ذكر ابن كثير في تفسيره ج4 ب28 ص132: "هذه الآية الكريمة نزلت أول الأمر بقتال أهل الكتاب، بعد ما تمهدت أمور المشركين ودخل الناس في دين الله أفواجا، فلما استقامت جزيرة العرب أمر الله ورسوله بقتال أهل الكتابين اليهود والنصارى، وكان ذلك في سنة تسع."
وكانت الآية تقول: {...وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ} [البقرة:191] مدنية، وترتيب نزولها العام (87)، وهي أمر الله لرسوله أن لا يقاتلهم عند المسجد الحرام، ثم نسخ ذلك في سورة بقوله: { فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [التوبة:5] والتي ذكرنا ان ترتيب نزولها (113) وفيما يخص الزواج ومضاجعة ملك اليمين كانت الآية تقول: { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الروم:21] وهي مكية وترتيب نزولها:84 أي آخر المكي، وبعد ذلك نزلت الآية في المدينة بعد معركة أحد (السنة الثالثة للهجرة) لتعلن التحول في الأمر الإلهي إلى شكل آخر: { وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ} [النساء:3] مدنية
ورد في الدر المنثور، ج3 ص75: "نزلت في نساء أهل حنين لما افتتح رسول الله (ص) حنينا أصاب المسلمون سبايا، فكان الرجل إذا أراد أن يأتي المرأة منهن قالت: إن لي زوجا. فأتوا النبي (ص) فذكروا ذلك له، فأنزل الله {والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم} قال: السبايا من ذوات الأزواج."، وبتلك الآية القرآنية أستحل المجاهدون المسلمون فروج المسبيات أو الأسيرات، وقبل ذلك كانت مواقعة السبايا ذوات الأزواج حسب الأعراف من الأعمال المخجلة حتى يأتي زوجها ويفديها، علماً بأنها الآية (24) من سورة النساء، وهي مدنية، وترتيب نزولها (6) مدني، وترتيبا نزولها في كامل القرآن (92)، حيث لم يكن قد بقي لمحمد الكثير للوصول إلى نهاية رسالته قبل أن يسن هكذا تشريع مخجل، وتأكيداً لما سبق أورد عن النبي محمد قوله: "جُعِل رزقي تحت ظِلّ رُمْحي، وجعل الذلة والصَّغار على من خالف أمري"، وقوله أيضاً: "أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي"، وكذلك مقولة: "من قتل قتيلاً فله سلبه"، ويذكرنا ذلك بصفية والتي كانت لا تزال عروساً، حين قتل محمد زوجها كنانة بن الربيع صاحب حصن خيبر، وقتل أباها حيّ ابن احطب، وقتل أخاها وكل أهلها، وأخذها لنفسه غنيمة ونام معها في نفس الليلة مكافأة له من الله.
*** * ***
العبيد بين المكي والمدني:
دام نزول الوحي23 سنة، منها 13 سنة في مكة، و10 سنوات في المدينة، أجمالي سور القرآن 114 سورة، منها على الأرجح 84 مكية, و2 مختلطة مكي ومدني (وهناك من يقول إن المختلط أكثر من سورتين)، و28مدنية. عدد الآيات المكية 4475، والمدنية 1716، نسبة المكي الثلثين، والمدني الثلث تقريباً.

السور المكية وما ورد فيها من آيات تتعلق بالعبيد حسب ترتيب النزول:
{وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (12) فَكُّ رَقَبَةٍ (13)} [سورة: البلد] مكية وترتيب نزولها (35)، وهي اول آية يتم فيها التطرق لذكر العبيد، وهي الآية الوحيدة التي نزلت في حياة خديجة بخصوص العبيد، وكانت كَلِمة تدعو لفك رقبة، دون الدخول في تفاصيل التعامل مع العبيد، وملكات اليمين والجواري من حيث مضاجعتهن، حجابهن، زواجهن، ...الخ.
{وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} [النحل:71] ... ... {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَّمْلُوكاً لاَّ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ } [النحل:75] مكيةٌ, وترتيبها نزولها هو (70) من إجمالي السور البالغة (114) سورة، وبعد أول ذِكر لكلمة رقبة في سورة البلد، تكون سورة النحل أول ما يذكر ملك اليمين، وكان ذلك بعد وفاة خديجة، وقالوا "سورة النحل نزلت في أخريات العهد المكي بعدما احتدم العراك بين المشركين والمؤمنين"، وقالوا سورة النحل نزلت بعد مقتل حمزة، وقد قتل حمزة في غزوة احد سنة 3هـ، عموماً هناك اختلاف على كونها مكية، أو هي مكية وفيها آيات مدنية، وهي من التناقضات الكثيرة المعروفة.
{إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ} [المؤمنون:6] مكية، ترتيب نزولها (74)
{إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ} [المعارج:30] مكية، ترتيب نزولها (79)
{ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [الروم:28] مكية، ترتيب نزولها (84)
النتيجة تم التطرق للعبيد والجواري وملكات اليمين في السور المكية في ستة آيات وهي الآيات التالية: (البلد:13- النحل:71- النحل:75- المؤمنون:6- المعارج:30- الروم:28).
اما في السور المدنية فقد ذكر العبيد حسب ترتيب النزول في الآيات التالية:
{لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} [البقرة:177] ... ... {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [البقرة:178] ... ... {وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَـئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [البقرة:221]، سورة البقرة هي مدنية وترتيب نزولها (1) من بعد (84) سورة مكية و(2) مختلطات (إن صح التعبير)، أي ترتيب نزولها (87)، من أصل (114) سورة قرآنية.
{يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [الأحزاب:50] ... ... {لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا} [الأحزاب:52] ... ... {لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا} [الأحزاب:55]... ... {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } [الأحزاب:59] وهي سورة

مدنية، ترتيب نزولها المدني (4)، وترتيبها نزولها العام (90) من (114)
{وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا(3){ [النساء:3] ... ... }وَالْمُحْصَنَاتُ مِنْ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا{ [النساء:24] ... ... }وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنْ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ{ [النساء:25] ... ... {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا} [النساء:36] ... ... {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنْ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً} [النساء:92]، وهي سورة مدنية، ترتيب نزولها المدني (6)، وكان نزولها بعد معركة أحد في السنة الثالثة للهجرة، وهناك من يتحدث عن زمن نزول بعض آياتها حتى السنة الثامنة للهجرة، وهي السورة ذات الترتيب (92) من (114)
{وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنْ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور:31] ... ... {وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [النور:32] ... ... {وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاء إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } [النور:33] ... ... {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنْ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [النور:58] مدنية، ترتيب نزولها المدني (16)، وترتيب نزولها العام هو (102)، وكان نزول سورة النور في السنة (7) هجرية، وهي السورة التي جاءت بآية (الإفك) التي تحمل براءة عائشة.
{وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [المجادلة:3] مدنية، وترتيب النزول المدني (19)، والترتيب العام (105)
{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [التحريم:1] مدنية، وترتيب النزول المدني (21)، وترتيب نزولها العام (107)
{لا يُؤَاخِذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمْ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [المائدة:89] مدنية وترتيب النزول (26)، وترتيب النزول العام (112)

{إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [التوبة:60] مدنية وترتيب نزولها (27)، وترتيب نزول الكلي هو (113) وهي السورة القبل الأخيرة.
في السور المدنية تم الحديث عن العبيد في الآيات التالية: (البقرة:177- البقرة:178- البقرة:221- الأحزاب:50- الأحزاب:52- الأحزاب:55- الأحزاب:59- النساء:3- النساء:24- النساء:25- النساء:36- النساء:92- النور:31- النور:32- النور:33- النور58- المجادلة:3- التحريم:1- المائدة:89- التوبة:60)
الخلاصة أنه ذُكِرَ العبيد والجواري في (6) آيات المكية، و(20) آية مدنية، والإجمالي (26)، وأن السور المتعلقة بالجواري وملكات اليمين في الآيات المكية هي ليست من بداية النزول، بل هي في نهايات الآيات المكية، إلا آية واحدة منها تدعو لفك الرقبة، ولا يوجد ذِكر لملكات اليمين إلا بعد وفاة خديجة، وبعد نزول الوحي بحوالي عشر سنوات، وحتى أنه بعض تلك الآيات الستة المكية مشكوك في مكيتها، ويدعي بعض علماء الإسلام أنها مدنية، 23% من ذكر العبيد في القرآن كان في المكي، و77% كان في المدني، وحتى النهاية كان القرآن يشرع وسين القوانين لعالم العبيد وليس لعالم بلا عبيد.
يقول علماء المسلمين لتمييز المكي عن المدني أن: "كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية. سوى العنكبوت. وكل سورة فيها إذن بالجهاد. أو ذكر له. وبيان لأحكامه. فهي مدنية." أقول لهم مضيفاً: كل سورة فيها ملكات يمين فهي مدنية أو آخر المكي ومشكوك في مدنيتها (نكاية بخديجة).
أما عن معاني الآيات المذكورة أعلاه فقد تم الوقوف عليها بالتفصيل سابقاً، وباختصار أنها تتحدث عن عتق رقبة في بعض الحالات، وعن تكفير من يقول أن عيسى ابن الله، وتشبيه من يقول ذلك بمن يقول أن العبد مثل الحر، وحرية مضاجعة الجواري او ملكات اليمين، وفي القصاص من قتل عبدك تقتل عبده، والدعوة للتحجب كي تعرف الحرة من الجارية كي لا يتحرش بها أحد، وكأن ذلك موافقة على التحرش جنسياً بالجواري، و[البقرة:22] كانت بداية تشجع بالزواج من الجواري، وبعدها نزلت [النساء:25] لتحرم الزواج منهن إلا عند بشروط للضرورة، وحتى لو توافرت تلك الشروط فالصبر على عدم الزواج بهن أفضل، ولو قامت الجارية بفاحشة بعد الزواج فعليها نصف ما على المحصنات لأنها أبداً لن تصل لمستوى الحرائر، وفي حال القتل العمد الدعوة لعتق رقبة لكن بشرط ان تكون رقبة مؤمنة، ويمكن بدل ذلك صيام شهرين [النساء:92]، وفي مناسبة أخرى وتاريخ لاحق الدعوة لعتق رقبة أو بدل ذلك صيام ثلاثة أيام (فقط) [المائدة:89]، ودعوة على التصدق على العبيد، وتوبيخ موجه للنبي محمد كونه حرم على نفسه مضاجعة إحدى جواريه.
أن أكثر ما قدمه القرآن للعبيد كان التصدق عليهم، أو عتق رقبة في بعض الأحيان دون أن يعني ذلك عدم امتلاك المزيد من الرقاب، لا بل فرض الجهاد على المسلمين لامتلاك المزيد منها، بعد كل ما سبق ربما يستشف لنا شيوخ وعباقرة الإسلام الكثير من الإعجازات المنطقية والعلمية والرقمية ربما لم نلحظها.
انتهى نزول المدني والذي كان هو الجزء الأخير من القرآن، وفيه سنت القوانين التي تنظم عالم العبودية، وأتم محمد رسالته ونزلت الآية لتقول: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا} [المائدة]، اتممها دون ان يذكر كلمة واحدة عن تحرير العبيد، ومن المعلوم أنه في الإسلام تحريم المحلل كتحليل المحرم، لذا لا أحد يمكنه تحريم العبودية التي أقرها الله في آياته، المفروض أن الله لا يستحي من الحق، فلو كانت هناك أية فكرة عن تحرير العبيد لنطق بها النبي محمد وذُكِرَت في القرآن، أليس هو القائل أن "الساكت عن الحق كالناطق بالباطل"، ألم يقل النبي محمد إن: "الساكت عن الحق شيطان أخرس"، ورد في (المغازي- ص337) في شأن غزوة أحد: كان "حول الكعبة ثلاثمائة صنم، وستون صنما مرصصة بالرصاص وكان هبل أعظمها، وهو وجاه الكعبة على بابها، وإساف ونائلة حيث ينحرون ويذبحون الذبائح، فجعل رسول الله (ص) كلما

مر بصنم منها يشير بقضيب في يده ويقول: "جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا" فيقع الصنم لوجهه".
يقول القرآن: {إِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ} [النساء:58]، فأين كانت تلك العدالة في آيات العبودية والعبيد، وماذا فعل محمد لرعاياه العبيد حين قال "كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته"، لماذا لم ينطق نبي الإسلام بتحريم العبودية وهو الذي تحدى الأصنام المقدسة وحطمها بكل قوة، لماذا لم يواجه التمييز بين البشر لو كان مقتنعاً، ألا يعني ذلك أنها كانت بعيدة عن مدركاته، وقد قيل "كل ما سكت عنه فهو صالح" وبالنهاية التمييز بين البشر لا يتعارض مع الحكم العادل من وجهة نظر الشرع الإسلامي، والحديث عن التدرج في تحريم العبودية هو حالة نفسية تلبس بها البعض نتيجة الجهل المتوارث، ويدعيها بعضٌ آخر للنفاق والاسترزاق.
لو كانت حجة التدرج صحيحة لسنت بعض القوانين التي ربما كانت ستقلل مع مرور الزمن من أعداد العبيد، كمنع امتلاك المزيد من العبيد والاكتفاء بالعبيد الموجودين سابقاً في المجتمع، والتشريع لأن يكون أولاد العبيد أحراراً، أو على الأقل الأولاد المولودين لزوجين احدهما عبد أن يكونوا أحرارا، ...الخ
لكن بعكس ذلك فرق الإسلام بين الأحرار والعبيد في شكل الحجاب والعورة، وطرق العبادة، والزواج، و حرمهم من المغانم في حالة (ما يسمى الجهاد في سبيل الله)، وجعل عدة الجارية نصف عدة الحرة، وجعل عقوبتها نصف الحرة في الحدود، وأعتبر العبيد أموالاً، ونزلت الآيات (المقدسة) حتى آخر لحظة لتثبت وتقر ما تم ذكره وتؤكد على دونيتهم.

يـــــتـــــبـــــع